التقيين فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الايام فما معنى تقييد
هذا العلم بذلك اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون في الدنيا انهم اذا
استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم
فهم في ذلك اليوم صائرون عن البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون
فيها مثل ما يتوهمون في الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من
الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار ولما
اخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيد
رعبهم ويبعث رغبتهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى اليوم
تجزى اي تقضى وتكافى كل نفس بما اي بسبب ما كسبت اي عملت
لا تترك نفس واحدة لان العلم قد شملهم والعدل قد احاطت لهم
دعمهم والحكمة قد منعت من اهمال احد منهم فيجزى المحسن باحسانه
والمسيء باساءته لا ظلم اليوم اي بوجه من الوجوه ان الله اي التام
القدرة الشامل العلم سريع الحساب اي بليغ السرعة فيه لا يشغله
حساب احد عن حساب غيره في وقت حسابه ذلك الغير ولا يشغله شان
عن شان لانه لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة كتاب ولا شيء
كما كان في ذلك ترجية وتخويف للفريقين لان المومن يرجو اسراع البسط
بالثواب والظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب وعن ابن عباس اذا
اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ثم نبه
تعالى بقوله سبحانه وانذرهم يوم الآزفة اي يوم القيمة على ان يوم
القيمة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما
قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها لان ما هو
كائن قريب والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله
تعالى

تعالى ازفت الآزفة اي قربت قال النابغة ازف الترحل غير ان ركابنا
لما تزل برحالنا وكان قد […] وقال كعب بن زهير بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا
ولا ارى لشباب بائن خلفا تنبيه الآزفة نعت لمحذوف فيحتمل يوم
القيمة الآزفة او يوم المجازاة الآزفة قال القفال واسما القيمة
تجري على التانيث كالطامة والحاقة كانها ترجع معناها على الداهية
ويوم القيمة له اسما كثيرة تدل على اهواله باعتبار مواقفه واحواله
منها يوم البعث وهو ظاهر ومنها يوم التلاق لما مر ومنها يوم
التغابن لغبن اكثر من فيه وحسراته وقيل المراد بيوم الآزفة مشارفتهم
دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة
الخوف وقال ابو مسلم هو يوم حضور الاجل اي لان يوم الموت بالقرب
اولى من وصف يوم القيمة بالقرب ولما ذكر اليوم هوله امر مما يحصل
فيه من المشاق بقوله تعالى اذ القلوب اي من كل من حضره ترتفع لدى
اي عند الحناجر اي حناجر المجموعين فيه وهي جمع حنجرة وهو الحلقوم
يعني انها زالت عن اماكنها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت
تخرج ثم اسند اليها ما لصاحبها للعقل فقال تعالى كاظمين اي ممتلئين
خوفا ورعبا وحزنا مكروبين قد انسدت مجاري انفاسهم واخذ بجميع
احساسهم ولما كان من المعهود ان الصديق تنفع في مثل ذلك
والشفاعات قال تعالى مستانفا ما للظالمين اي العريقين في الظلم
من حميم اي قريب صادق في مودته يهتم بامورهم مزيل لكربهم
ولا شفيع يطاع فيشفع لهم تنبيه احتج المعتزلة على هذه
الآية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفي حصول شفيع لهم
يطاع يوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا بوجوه اولها ان الله
تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذه الآية لا تدل على نفي الشفيع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1